خدمة الإذاعة العربية

abs
Arabic Broadcasting Service

برنامج أنوار كاشفة سفر الجامعـة الحلقة الثانية والخمسون(الأخيرة)

أهلاً ومرحباً بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. بهذا اللقاء نصل إلى الحلقة الأخيرة من سلسلة سفر الجامعة لسليمان الحكيم، والذي هو من أسفار الحكمة. وقد عالج هذا السفر معضلة مشاعر الإحباط واليأس عند الإنسان، حيث أكد أن كل شيء بعيد عن الله هو باطل وقبض الريح.

مستمعي العزيز، لقد قدّم سليمان الحكيم في سفر الجامعة بحثاً فلسفياً عميقاً. ولكي يصل إلى النتيجة التي يتوخّاها، بدأ بالحديث عن اختباره الشخصي، وكيف أنه بالرغم من غناه وسلطته القوية كملك، وحكمته العميقة، وبالرغم من حصوله على كل ما يشتهي، فلقد وجد أن الكل باطل وقبض الريح. ثم انتقل للحديث عن ملاحظاته العامة للحياة، فتناول أموراً شتى. كالوقت والعمل، والظلم في العالم، والأنانية، وصراع الأجيال، والتدين الخارجي، ومحبّة المال والسّعي وراءه. فاكتشف تناقضات الحياة، ووصل إلى النتيجة نفسها: أن الكل باطل وقبض الريح، ولا فائدة للإنسان من كل تعبه.

لكن سليمان الحكيم أخذ بعد ذلك يقدّم لنا مشورته العملية ببعض النصائح. فتكلّم مثلاً: عن أهمية جهد الإنسان، وأن الصيت أي السمعة خير من الدهن الطيّب أو العطور، وأن الرشوة تفسد، وضرورة عدم الإسراع إلى الغضب، وأهمية الحكمة، وقابل بين الشرير والحكيم ونهايتهما. وتكلم عن تناقضات الحياة.

ثم انتقل سليمان الحكيم في الفصول الأخيرة إلى قراراته العملية. فتحدث مثلاً عن مفاجئات الحياة. ومعاناة الإنسان وعجزه عن معرفة حكمة الله، وعن الاستفادة من الوقت. وشدد على أهمية الحكمة مقارناً إياها مع الحماقة، ودعانا لكي نذكر خالقنا في أيام الشباب، وعلّل ذلك بالشيخوخة والموت وانحلال الجسد.

أمام نهاية الإنسان المفجعة، واكتشاف سليمان الحكيم عدم جدوى الحياة، عاد ليكرر القول في ختام سفره: **« باطل الأباطيل الكل باطل».** وأكد في نفس الوقت، أن هدف كلماته التي خطّها هي أن تقود الإنسان إلى المعرفة الحقة. وأنها كالمناخس التي تؤلم، وهي مستمدة من الراعي الواحد الذي هو الله. وبالرغم من أن الحكيم حذّرنا من البحث المضني والتعب الذي لا جدوى منه، لكنه أراد بذلك توجيهنا نحو المصدر الحقيقي للمعرفة والحكمة الإلهية، ألا وهو كلمة الله الحيّة كما جاءت في الكتاب المقدس.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

صديقي المستمع، كان لابد في الختام أن يقدّم لنا سليمان الحكيم الخلاصة النهائية لكل بحثه المستفيض هذا. فكتب قائلاً: **« فلنسمع ختام الأمر كله. اتّق الله واحفظ وصاياه، لأن هذا هو الإنسان كلّه. لأن الله يُحضر كل عمل إلى الدينونة على كلِّ خفي إن كان خيراً أو شراً»** (الجامعة١٢:١٣-١٤). لقد أجاب سليمان الحكيم بهذه الآية عن كل تساؤلاته وحيرته التي أثارها، لا بل على كل تناقضات الحياة ومفاجآتها التي اكتشفها. فأكد أن الأمر الوحيد المتيقن منه، هو أنه يجب على الإنسان أن يتّقي الله الخالق القدير. أي يؤمن به ويسلك بحسب وصاياه وشرائعه التي وضعها.

فمهما كانت تناقضات الحياة، يجب أن نسعى إلى الهدف الوحيد الذي هو معرفة الله. إن هدف ومعنى الحياة الحقيقي إذن كامن في الله. وبذلك نستطيع أن نقف أمام تيارات الفشل واليأس، وأمام الادعاءات بعدم جدوى الحياة. وهذا يؤكد أن الحياة بعيداً عن الله، هي فعلاً لا معنى لها وباطلة وقبض الريح. وقد برهن سليمان الحكيم عن حجته هذه، بالتأكيد أن الناس جميعاً سيقفون يوماً ما أمام الله الديّان، لكي يدانوا على كل ما فعلوه، سواء كان خيراً أم شراً. ولنلاحظ قول الحكيم أن الله سيُحضر ليس كل عمل فقط، بل كل خفي من أعمالنا إلى الدينونة. لأن الله هو فاحص خفايا القلوب ويعرف بكل أفعالنا المستترة.

قد تبدو صالحاً مستمعي أمام الناس، وقد تستطيع إخفاء أعمالك الشريرة عنهم، لكنك أمام الله لن يمكنك إخفاء أي أمر. ولهذا عليك أن تعلم أن الله يراقب أفعالك كلها، لابل يعرف أفكارك من الداخل. فهل تراك تحسب حساباً لمراقبة الله لك عندما تقوم بأي عمل؟

لقد تحدّث لنا المخلص المسيح عن الدينونة الأخيرة للبشر جميعاً. وأكّد كل الرسل الأوائل في كتاباتهم التي دوّنوها لنا في العهد الجديد من الكتاب المقدس، أن الله سيدين الناس جميعاً في يوم الدينونة الأخير. لا بل رأى الرسول يوحنا في سفر الرؤيا، والذي هو السفر الأخير، هذه الدينونة فكتب قائلاً:

« ثم رأيت عرشاً عظيماً أبيض والجالس عليه الذي من وجهه هربت الأرض والسماء ولم يوجد لهما موضع. ورأيت الأموات صغاراً وكباراً واقفين أمام الله، وانفتحت أسفارٌ وانفتح سفر آخر هو سفر الحياة ودين الأموات مما مكتوب في الأسفار بحسب أعمالهم.. وكل من لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة طُرح في بحيرة النار» (رؤيا٢٠:١١و١٢، ١٥).

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service

لعلّ السؤال الآن: ماذا يعني سفر الحياة؟ وكيف يمكن أن يضمن أي شخص كتابة اسمه في هذا السفر؟ وأن يتجنّب إدانة الله له في يوم الدينونة الأخير؟ إن سفر الحياة باختصار هو سجل لكل الذين يؤمنون بالمخلص المسيح. ألم يقل المسيح عن نفسه: « **أنا هو القيامة والحياة. من آمن بي ولو مات فسيحيا؟**» (بشارة يوحنا١١:٢٥).

بعد أن عاد تلاميذ المسيح فرحين من رحلتهم التبشيرية، قال لهم: **« لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا أن أسماءكم قد كُتبت في السموات»** (بشارة لوقا١٠:٢٠). من المهم جداً إذن أن نضمن كتابة أسماءنا في سفر الحياة، الحياة الأبدية، وذلك عن طريق الإيمان بالمخلص المسيح.

هل تعلم مستمعي أن الذي يؤمن بالمخلص المسيح، لا يدينه الله في اليوم الأخير؟ فقد صرّح المسيح قائلاً: **« الحق الحق أقول لكم إن من يسمع كلامي ويؤمن بالذي أرسلني فله حياة أبدية، ولا يأتي إلى دينونة بل قد انتقل من الموت إلى الحياة»** (بشارة يوحنا٥:٢٤) ألا تود مستمعي أن تكون من أولئك الذين تكتب أسماءهم في سفر الحياة؟ ومن هؤلاء الذين لا يأتون إلى دينونة بل ينتقلون من الموت إلى الحياة؟ آمن إذن بهذا المخلص الفريد، المخلص المسيح، الذي مات على الصليب وقام من بين الأموات، لكي يهب كل من يؤمن به الغفران الكامل، والحياة الأبدية.

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠١٠-٢٠٠٣
Copyright 2003-2010 Arabic Broadcasting Service